آياتُ الحجِّ في سورة البقرة

من دروس حملة الحج لعام ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الموضوعات

آيات الحج في سورة البقرة ٤

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٦) ٦

الفائدة الأولى: أتمّوا ولا تبتدئوه ثمّ تخرموه وتُفسدوه فما هي إلّا أيّام معلومات:..... ٦

الفائدة الثّانية: اجعل كلّ حجّك خالصًا لله و أقبل عليه واطلب أن يُثني عليك في الملإ الأعلى:..... ٩

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٧) ١٤

الفائدة الأولى: الحجّ أشهر معلومات يتمتّع فيها النّاس بالحجّ: ١٤

الفائدة الثّانية: من فرض فيه الحجّ فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل: ١٨

الفائدة الثّالثة: أيّ عمل تعمله بقلبك أو ببدنك أو بلسانك فإنّ الله يعلمه وسيشكرك عليه:..... ٢٠

الفائدة الرّابعة: مطلوب منك أن تزوّد قلبك بالتّقوى: ٢٢

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٨) ٢٥

الفائدة الأولى: من نعم الله أن هدانا للإيمان وامتنّ علينا بهذه الشّريعة العظيمة:..... ٢٦

الفائدة الثّانية: من نعم الله أن عرّفنا إلى أين نحن ذاهبون وما الّذي يجب علينا أن نفعله؟..... ٢٧

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٩) ٣٠

الفائدة الأولى: الانشغال اليوم يكون بالاستغفار والتّكبير: ٣٠

الفائدة الثّانية: أنت الآن في مرحلة تأديب لنفسك وتزكية لها فاجمع قلبك بقدر ما تستطيع و أنت تكبّر وتستغفر الله:..... ٣١

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآيات (٢٠٠_٢٠١) ٣٥

الفائدة الأولى: الذّكر والدّعاء أعظم عبادة في الحجّ:..... ٣٥

الفائدة الثّانية: في أوقات الدّعاء لا مانع من طلب الدّنيا لكن لا تكن هي أكبر همّنا:..... ٣٧

آيات الحج في سورة البقرة

أُلقي يوم ١٠ ذي الحجّة ١٤٣٩

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا على أن بلّغنا هذا المقام العظيم، مقام الحجّاج فيغفر لهم ذنوبهم ويخرجهم من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمّهم، وهذا الحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة، لكن نحن مازلنا في الخطوة الثّانية في الحجّ، فهذه بداية الحجّ وليس نهاية الحجّ ولذلك من كتاب الله -عزّ وجلّ- سنعرف:

كيف يكون الحاجُّ حاجًّا حجًّا مبرورًا؟

ولذَا سنتأمّل في آيات سورة البقرة الّتي ورد فيها الخبر عن الحجّ.

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن

كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]

(١) البقرة: ١٩٦_٢٠٢.

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٦)

بسم الله سنبتدئ بالآية (١٩٦) سنجعل المسألة عبارة عن مجموعة نقاط لكيلا تتشتّتوا:

سنبدأ بالجملة الأولى الّتي في الآية (١٩٦) **ونعتبرها قاعدة** ونمشي عليها إلى حجّ الوداع -بأمر الله-:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

الفائدة الأولى: أتمّوا ولا تبتدئوه ثمّ تخرموه وتُفسدوه فما هي إلّا أيّام معلومات:

فإذًا انظروا إلى الجملة الأولى الّتي في الآية (١٩٦) ماذا يقول الله -عزّ وجلّ-؟ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أتمّوا وليس ابتدأوا فقط! **"عَرَفَة"** بداية الحجّ فقط وليست نهاية الحجّ، فالّذي ابتدأ **"عَرَفَة"** ماذا يفعل؟ يتمّ ﴿الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فاليوم هو يوم الحجّ الأكبر -وقد مرّ معنا سابقًا- بأنّ كثيرًا من العلماء قالوا عن هذا اليوم: "إنّه أعظم من يوم

عرفة" والسّبب أنّ أعمال الحجّ الكُبرى تكون في هذى اليوم منها: رمي الجمار، ومنها: الذّبح، ومنها: طواف الإفاضة.

والآن لا تدخلوا في الأسئلة الفقهيّة: (نطوف أو لا نطوف؟) اصبروا فهذه هي السّنّة لكن الأعمال تتقدّم وتتأخّر على حسب حال الحاجّ، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كما مرّ معنا أنّه بقي في مزدلفة حتّى أسفر جدّة ودعا -صلّى الله عليه وسلّم- ثمّ أقبل وأتى إلى جمرة العَقَبة ورمى كلّ جمرة معها تكبير، ثمّ ابتدأ في التّكبير -صلّى الله عليه وسلّم-، ثمّ وصل إلى مَنحره فنحر بيده الشّريفة ٦٣ من الإبل على قدر عمره الشّريف -صلّى الله عليه وسلّم-. وقد ورد في الحديث[١] "أنّ هذه الإبل كانت تتدافع لكي تمدّ عنقها للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لكي يذبحها بيده الشّريفة -صلّى الله عليه وسلّم-". فهذا الموقف العظيم الّذي كان فيه النّاس وخرج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وطاف طواف الإفاضة وصلّى صلاة الظّهر، المهمّ هذا الموقف جزء من موقف الحجّ.

كثرة الكلام والضّحك تُسبّب قسوة القلب بعد لينه:

هذا الكلام يُقال لماذا؟ لأن النّاس حين يصلون إلى مِنَى بعد أن كانوا في عَرَفة ومزدلفة، يخرجون من الحجّ ويدخلون إلى مخيّم واستراحة ينسون أنفسهم بأنّهم في الحجّ ويتحوّل الأمر إلى مجرّد اجتماع! ونبدأ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٨٧٥١)_ متن الحديث: ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ . وَقُرِّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسُ بَدَنَاتٍ أَوْ سِتٌّ يَنْحَرُهُنَّ فَطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ ، أَيَّتُهُنَّ يَبْدَأُ بِهَا ، فَلَمَّا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ، قَالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً لَمْ أَفْهَمْهَا ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ مَنْ يَلِينِي : مَا قَالَ ؟ قَالُوا : قَالَ : مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ)).

نكثر من الكلام والضّحك ممّا يُسبّب قسوة القلب بعد لينه! والله لم يقل لنا: (حُجّوا) وإنّما قال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فلا تنسوا هذه الجملة: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ولا تبتدئوه ثمّ تخرموه وتُفسدوه، يعني: ستخرجين من الحجّ المبرور! فأوّل ما تخرمينه ماذا يحصل؟ تخرج من الحجّ المبرور! لكن ليس هناك يأس من روح الله ستجدين في نفس الآيات ما يدلّنا.

لو قصّرنا ماذا نفعل؟ سنجد في كلام الله وفي كلام رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فقط وليس بعدهما كلام ما يرشدنا.

فإذًا اتّفقنا ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ كلّما وجدت نفسك تراخت ماذا ستقولين لنفسك: (﴿أَتِمُّوا﴾ ﴿أَتِمُّوا﴾)

و ﴿أَتِمُّوا﴾ ستوصلك إلى أين؟ ستوصلك إلى طواف الوداع، يعني: إلى أن تُودّعيه، فحين تودّعيه وتأتي الحجّة كاملة هكذا يأتي الحجّ المبرور، وليس في وسطه!

احرص على مسك نفسك واحفظ لسانك و انتبه لزلاّت الشّيطان:

صحيح نحن نريد أن نُهنّئ أنفسنا أنّنا حججنا وخرجنا من المنسك العظيم الّذي هو الوقوف بعرفة والانتقال، هذا موقف عظيم من أعظم مواقف العبد أنّه يقف وربّ العالمين يباهي به الملائكة، هذا من أعظم المواقف، لكن هذا بداية المواقف وليس نهاية المواقف، فسيأتينا كذلك من الشّعائر العظيمة رمي الجمار.

رمي الجمار الّذي صار أضحوكة عند كثير من النّاس! وهم في طريقهم إلى رمي الجمار تجد البعض يقولون: (نحن ذاهبون للشّيطان!) من هذا الكلام الّذي فيه مزاح وفيه استهزاء...إلخ من هذا كلّه! وهو من الشّعائر العظيمة عند ربّ العالمين، فلابدّ من حفظ اللّسان والتّنبّه لهذه الزّلاّت لأنّ الشّيطان لا يتركك.

وسنكرّر على أنفسنا: في رمضان تُصفّد الشّياطين، وأمّا في الحجّ فهناك شيطانك وكذلك شيطان الجمهور الّذي معك وهناك شياطين الإنس فوقهم كذلك! وكلّ هذا يجعل الحجّ أصعب بكثير من غيره! ولهذا فإنّما هي فقط أيّام معلومات هنا فاحرص على مسك نفسك هنا.

ولماذا في الحجّ شياطين الإنس والجنّ مفلّتة فيه؟ لأنّه يُشبه الحياة نفسها! وسيأتينا -إن شاء الله- نُوفّق ونرى كيف أنّها تشبه الحجّ في مواقفها وانتقالاتها.

الفائدة الثّانية: اجعل كلّ حجّك خالصًا لله و أقبل عليه واطلب أن يُثني عليك في الملإ الأعلى:

فإذًا ما هو المطلوب منّا أوّل الأمر؟ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ جميل فإذًا أوّل جملة ﴿أَتِمُّوا﴾ فهمناها هنا بقيت: اللاّم ﴿لِلَّهِ﴾ يعني: خالصًا لله وليس لغير الله.

وَ ﴿لِلَّهِ﴾ هذه هي أصعب شيء في الحجّ! ولذلك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةَ»[1].

انتبه أن يلتفت قلبك لثناء النّاس ويترك ثناء الله:

ويبقى هذا الدّاء هو أعظم داء يُواجه الحجّاج في الحجّ وهو: أن يلتفت قلبهم لثناء النّاس ويتركوا ثناء الله!

انتبه أن يلتفت قلبك للانشغال بالنّاس وأحوالهم دون أن يهتمّ بمكانه عند ربّ العالمين:

أو يلتفت قلبهم للانشغال بالنّاس والاهتمام بهم، فيهتمّ بالنّاس ويهتمّ بأحوالهم دون أن يهتمّ بمكانه عند ربّ العالمين.

أعظم سبب لقسوة القلب كثرة الكلام بغير ذكر الله:

فأنت تركت دارك، وتركت أهلك، وتركت مكان نومك، وهجرت هذا كلّه مُهاجرًا لله، فإذَا هاجرت لله لا تعد فتجد نفسك قد هاجرت واتّصلت مرّة أخرى بالنّاس! فتصبح ما هاجرت لله وإنّما هاجرت لتعرف أناسًا جددًا وتتّصل بهم!

---

(١) صححه الألباني.

هذا لا يمنع من الكلام الطّيّب، ولا يمنع من التّبسّم في وجه أخيك، ولا يمنع من السّلام، ولكن يمنع من كثرة الكلام والخروج إلى مسائل تفصيليّة! فهذا هو الممنوع.

اللّهج بتكبير الله هو العمل الفاضل يوم الأضحى:

ومن أجل ذلك لابدّ أن نعرف: بأنّنا أتينا لنليّن قلبنا، وأنّ أعظم سبب لقسوة القلب هو: كثرة الكلام بغير ذكر الله.

ولذَا فإنّ العمل الفاضل اليوم هو: اللّهج بتكبير الله:

انتبه من الشّرك بالجمع بين طلب ثناء الله وثناء غير الله:

فإذًا هَجرنا الخلق من أجل أن نُقبل على ربّ العالمين، ونحن في هذا طالبين أن يُثني علينا في سمائه، مشغولين عن ثناء النّاس.

هذا هو أهمّ شيء: هو أنّك حين تقصد الله تهجر ثناء النّاس، وأيّ جمع بين الاثنين: بين طلب ثناء الله وثناء غير الله يصير هذا هو الشّرك، معناها: أنّك جمعت بين أمرين.

سنكرّر على أنفسنا: الآية العظيمة الّتي في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فإذًا ماذا تنتظرين ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[1] يعني: اكتفوا بأنّه

(١) الأحزاب: ٤١_٤٣.

هو يُثني عليكم في الملإ الأعلى، اكتفوا بالعناية بالملإ الأعلى، يعني: يُثني عليك عند ملائكته الكرام.

فإذًا هو واحد من اختيارين: فإمّا الملك العظيم، الرّبّ الكريم يُثني عليك في السّماء عند ملائكته الكرام، وإمّا الخلق الّذين تعرف حالهم وكيف أنّهم يتقلّبون كلّ يوم! فيُثنون عليك أمامك وربّما خلفك كان حالهم مختلفًا! فلا يوجد هناك جمع بين الاثنين، إمّا هذا وإمّا هذا؛ ولذلك: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ﴿لِلَّهِ﴾ فهذه اللاّم هنا يسمّونها: لام الاختصاص، خاصّة لله.

فإذًا ذكرنا فائدتين من هذه الجملة العظيمة الّتي هي: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾:

- **فإذَا ما نسيت ذكّري نفسك بالجملة:** وإذَا وجدت نفسك قد تفلّتت منك في الوسط فذكّري نفسك: (ما بقي إلّا يومين! ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾)

- **ثمّ ذكّري نفسك: بأنّ كلّ هذا العمل لأجل من؟ لله!** لله وليس لأجل النّاس أو للثّناء ولا تلاحظيهم.

انتبه من الرّياء فالّذي خاف منه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لابدّ أن نخاف منه:

وكذلك هناك خطأ هنا دائما يحصل: في كثير من الأحيان يقول الشّيطان للإنسان: (أنا لا يأتيني الرّياء! أنا لا أُرائي!) أو (أنا لم أكن أقصد ذلك!) ويتعذّر لنفسه!

انظروا! فرغم أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهو قائدنا -صلّى الله عليه وسلّم- وإمام المُوحّدين، قال: «اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةَ» ثمّ أنّه -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ» والكلام على صحابته الكرام الّذين ذُكر الثّناء عليهم في التّوراة والإنجيل، قال لهم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»[1] يعني المقصود: الرّياء.

إذَا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يخاف على أصحابه، فالّذي يأتي بعدهم يزكّي نفسه فإنّه يكون ما يزكّي إلّا الشّيطان! فهذه تزكية وشهادة من الشّيطان وليست من الرّحمن! فلذلك الّذي خاف منه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لابدّ أن نخاف منه.

(١) صححه الألباني.

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٧)

نرى الآية الّتي بعدها: الآية (١٩٧) من سورة البقرة سنقولها جملة، جملة:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

الفائدة الأولى: الحجّ أشهر معلومات يتمتّع فيها النّاس بالحجّ:

من نعم ربّنا على الحجّاج أن حرّم أربعة أشهر ليأتوا ويعودوا إلى بلدهم سالمين:

سنبدأ بالجملة الأولى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ نحن نراها أيّاما معدودات بينما هنا في الآية: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ ؟!

فكّري في النّاس الّذين يأتون من خارج الدّيار، متى أوّل وقت يدخلون فيه في النّسك؟ هو شوّال، فيبقون: شوّال وذو القعدة والحجّ، وهكذا تنتهي أشهر الحجّ، ثمّ إنّ ربّنا قد حرّم شهر مُحرّم من أجل أن يرحل هؤلاء ويعودون إلى ديارهم سالمين، يعني: هم يسافرون يأتون في رمضان فيكونون أناسًا صائمين أتقياء لا أحد يقطع عليهم الطّريق، ثمّ حين يأتون عائدين إلى ديارهم فيكون شهر محرّم فلا أحد يقطع عليهم الطّريق.

من نعم ربّنا على الحجّاج في هذا الزّمن أن لا أحد يقطع عليهم الطّريق أو الحجّ:

وهكذا نذكّر أنفسنا بالنّعمة الّتي نعيشها: فكلمة قطّاع الطريق أو أنّ أحدهم يقطع عليك الطّريق لا تمرّ على خواطرنا أبدًا!

لكن هكذا يكون هناك أزمة! لأنّها نعمة من كثرة وجودها لم نعد نحسّ بها أو نشكر ربّنا عليها! بالإضافة إلى يسر الوصول وسهولته، فهناك شيء مهمّ وهو: الأمن الّذي تجدونه! وانظروا في أنفسكم، فقد تركتم أغراضكم هنا دون أن تخافوا عليها وذهبتم خفافًا ورجعتم خفافًا.

فتصوّري أهل الدّيار السّابقين كانوا يخرجون من ديارهم يودّع بعضهم بعضًا فقد يعود وقد لا يعود! -حقيقة- وإذَا ارتحل فإنّه يرتحل من كلّ مكان بكلّ شيء له، فلا أمن ولا أمان!

فهذه نعمة كلّما ذُكرت شكرت والنّعمة الّتي لا تُشكر بمعنى يتمتّع بها الإنسان ولا تُشكر فقد كَفَرَهَا!

فلابدّ أن نذكّر أنفسنا دائمًا بهذه النّعمة العظيمة الّتي نحن فيها، وهو: الوصول اليسير، وهذا الوصول اليسير ليس فقط الحافلات والطّائرات والقطارات، وإنّما حتّى الشّيء المهمّ أنّه لا يوجد من يقطع عليك الحجّ -والحمد لله- فبيسر وسهولة تأتون إلى الحجّ.

أسأل الله العظيم أن يحفظ علينا النّعم، ويجعلنا من الشّاكرين

ولذا فلننتبه أنّه كلّما زاد اليسر لابدّ أن يزيد الشّكر!

لكنّ الشّيطان قد توعّد بني آدم أن يُخرّج من النّاس: ﴿قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] فتجدين أنّه كلّما زاد اليسر زاد الاعتراض! وكلّ شيء ناقص يصير أكبر! وكلّ شيء لا يُعجبنا!

من نعم ربّنا على الحجّاج أن جعل أجرة الحجّ صدقة عمّن دفعها قبل أن تكون أجرة:

ونرجع مرّة ثانية لمشكلة أنّنا ننسى أنّ النّفقة الّتي ننفقها في الحجّ تقع في يد الله قبل أن تقع في يد النّاس، النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال لعائشة: «إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ قَدْرَ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ»[2] فكلّ ريال يُعتبر صدقة، يعني: أجرة الحجّ وتسهيله صدقة عمّن دفعه قبل أن يكون أجرة، يعني: جمع لك أمرين:

- أنّه أجرة.
- وهو قبل في يد الله.

وأكثر شيء يُخاف في الصّدقة أن يدخل الإنسان في كبيرة المنّ، وهذه المرّة لو حصل هناك مَنٌّ، يعني: (أنا دفعت لكم كذا! ودفعت لكم كذا!) سيكون مَنٌّ على الله بالعبادة وليس مَنٌّ على الخَلْقِ لأنّك أنت تتكلّمين

(١) سبإ: ١٣.

(٢) صححه الألباني.

عن الله الّذي أنت تقرّبت إليه بالمال، ماذا يقول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لعائشة: «إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ قَدْرَ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ» يعني: الّذي كان يتصوّر بأنّه سيركب الطّائرة ويأتي مباشرة على المناسك بدون تعب! يكون أصلا دخل القصّة خطأ ولم يفهم الموضوع! فالمشقّة لابدّ أن تأتي لكن المشقّة نسبيّة -من رحمة الله- وإلّا فإنّ هذا الّذي نعيش فيه يُعتبر من التّرف، وتُعتبر كلّ حياتنا من التّرف!

سنضرب مثالًا بسيطًا: كان الملوك فيما مضى يصنعون لهم شيئًا طويلًا وعريضًا لكي يستحمّ بدون أن يغرف الماء ويضعه فوق رأسه فينجزون له مواسير لأنّه هو الملك.

ونحن على ذلك -ما شاء الله- كلّنا من الملوك! وكلّ الحياة الّتي تعيشينها بهذه الطّريقة، يعني: النّعيم الّذي تعيشينه في مقابل ما كان عليه من قبل، كان الّذي تتمتّعين به وأنت عاديّة هو نفسه الّذي تمتّع به الملوك من قبل.

واقرئي في التّاريخ القريب وانظري كيف كان الجوع والمجاعات الّتي كانت تأتي للنّاس إلى قريب، وأقربها ما كانت من ٨٠ سنة سابقة، إلى درجة أنّ أهل هذه الدّار الّتي حصلت فيها المجاعة -وهي من ديارنا- كانوا يريدون أن يذهبوا إلى البلد الثّانية الّتي فيها طعام، لكنّهم يخافون على أنفسهم الموت، فماذا كانوا يفعلون؟ كانوا يركبون النّاقة ثمّ يربطون أنفسهم فيها من أجل إلّا يُغمى عليهم من الجوع فيسقطون على الأرض فيموتون! فماذا يحصل؟ تتّجه النّاقة إلى مكان الرَّحْلِ فتصل عند

الآخرين ويكون قد أُغشي عليه مثلا لمدّة ثلاثة أيّام فحين يصل يفكّونه، ويسقونه ماء ويُطعمونه لكي يعود إلى الحياة!

فهل أنتم متصوّرون كيف كان النّاس إلى قريب بهذه الطّريقة؟! نحن لا نخوّف أنفسنا فقط لنخوّف أنفسنا وإنّما لنذكّر أنفسنا بأنّه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ فالنّعمة إذَا شُكرت قرّت وإذَا كُفِرَتْ فرّت! فإنّها تفرّ فرارًا فلا تُعطيك الفُرصة بحيث أنّك تُصبحين فلا تُلاقيها!

نسأل الله أن يغفر ذنوبنا،

ولا يُؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا، اللّهمّ آمين.

الآن ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ يتمتّع فيها النّاس بالحجّ، طبعًا لا تفكّري في نفسك وإنّما فكّري في المسألة الأساسيّة.

الفائدة الثّانية: من فرض فيه الحجّ فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل:

من فرض فيه الحجّ ودخل في النّسك فإنّه أصبح فرضًا عليه لابدّ أن يتمّه على الوجه الأكمل:

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ هناك كلمة مهمّة هنا الّتي هي: ﴿فَرَضَ﴾ يعني: أيّ واحد فيكم كما نعبّر: **"حجّ الفريضة"** أو **"نافلة"** ما دام دخل في النّسك فإنّه أصبح فرضًا عليه، ولابدّ أن يرجع ثانية ليتمّه على الوجه الأكمل.

من فرض فيه الحجّ فإنّ الرّفث والفسوق والجدال محظورات أعظم من المحظورات البدنيّة الّتي ممكن أن يذبح عنها:

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ ماذا سيفعل؟ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ انظروا كم أنتم مهتمّون بالمحظورات فأمس وأوّل أمس كلّ الأسئلة كانت تدور حول المحظورات: (آخذ من شعري أم لا؟ وهل أمشطه أو لا أمشطه؟) وبعد ذلك تأتي الفتاوى: (أتحمّم أو لا أتحمّم؟) فكلّ هذا نقوله ولا أحد يسأل عن هاتين المسألتين؟! -فعن نفسي- في كلّ السنوات الماضية لم تكن هاتين المسألتين ضمن الأسئلة الّتي تُطرح: لا عن الجدال ولا عن الفسوق! مع أنّ هذين الأمرين من أكثر الأمور الّتي يدخل فيها الإنسان بدون حتّى أن يشعر! والجدال موضوع طويل وكذلك الفسوق موضوع طويل، سيظهر لنا هذا -إن شاء الله- حين نقرأ سورة الحجّ وحين نبدأ في نقاشها لأنّ سورة الحجّ تبيّن من هو المُجادل وما صفته؟

المهمّ، فإنّه أعظم من المحظورات البدنيّة الّتي ممكن أن تذبحي عنها هذه المحظورات لأنّ الله -عزّ وجلّ- قد ذكرها في كتابه، فالّذي يفرض الحجّ ماذا سيفعل؟ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ لأنّ مقصود الحجّ مثل مقصود بقيّة العبادات أنّك تصلين إلى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١].

من فرض فيه الحجّ يزكِّ نفسه ولا يعصِ الله أيّة معصية قلبيّة أو بدنيّة ولا يُجادل أيّة مُجادلة متّصلة بالدّين أو بالدّنيا:

فالطّريق إلى تزكية النّفس أنّه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فكأنّك تجرّبين طيلة ٥ أيّام أنّك:

- ✓ لا تعصين ربّ العالمين أيّة معصية قلبيّة أو بدنيّة.
- ✓ ولا تُجادلين أيّة مُجادلة متّصلة بالدّين أو متّصلة بالدّنيا.

وسنتّفق إن شاء الله في سورة الحجّ على معنى: **"الجدال"**.

الفائدة الثّالثة: أيّ عمل تعمله بقلبك أو ببدنك أو بلسانك فإنّ الله يعلمه وسيشكرك عليه:

من نعم الله أنّه إذَا شكر أعطى على الشّيء القليل الأجر العظيم:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ هذه كلمة عظيمة تشمل حياة الإنسان والحجّ خاصّة.

والمقصد: أنّ أيّ شيء خَفِيَ في قلبك، فمثلًا:

- وأنت نائم على فراشك وعدّدت نعم الله فوقع في قلبك الشّعور بمحبّته.

---

(١) الشّمس: ٧_١٠.

- وأنت نائم على فراشك تذكّرت ذنوبك فاستحييت من ربّ العالمين.

- وأنت نائم على فراشك تذكّرت من أخطأ عليك فوقع في قلبك العفو عنه.

فأيّ شيء تفعله من خير سواء كان محسوسًا ملحوظًا، أو حركة قلبيّة، ما هو الجواب؟ ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فإذَا كان ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فماذا ستكون النّتيجة؟ سيشكره الله، وإذَا شكره الله -عزّ وجلّ- أعطى على الشّيء القليل الأجر العظيم.

من نعم الله أنّه يشكر لمن حجّ وفعل ما يجب عليه فعله في عرفة فيرجع كيوم ولدته أمّه:

ولكي نتأكّد بأنّ ربّنا شكور -نحن متأكّدون- غير أنّ هذه أمثلة على ذلك:

انظري نهار عرفة كم؟ ومع هذا فإنّ عملهم في نهار عرفة يعيدهم ولو كان عمره ٦٠ سنة أو ٧٠ سنة أو ٨٠ سنة، فإذَا جاء نهار عرفة وفعل ما يجب عليه أن يفعله يرجع كيوم ولدته أمّه، وكأنّ ٨٠ سنة هذه ولا شيء!

من نعم الله أنّه يشكر لمن صام في بلده يوم عرفة فيكفّر له سنتين من حياته السّابقة:

والصّائمون الّذين في الدّيار قد صاموا يكفّر لهم في هذا اليوم سنتين من ذنوب حياتهم السّابقة.

فالشّاهد: أنّ ربّنا شكور ولذلك قال لنا: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ ماذا؟ ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

الفائدة الرّابعة: مطلوب منك أن تزوّد قلبك بالتّقوى:

نأتي الآن للشّيء المهمّ جدّا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ فهذه الكلمة المهمّة جدّا في القدوم والذّهاب ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ هذه الوصيّة واضحة لكلّ النّاس فنحن -ما شاء الله- كلّنا متزوّدين على أعلى درجة -الحمد لله ربّ العالمين- وكذلك الحملة لم تقصّر -الحمد لله- فهي متزوّدة، وزوّدتنا، وطوال الوقت ونحن مُزَوّدون! فأما التزوّد البدني ما عليه كلام -الحمد لله ربّ العالمين- فلا نحتاج وصايا عليه!

طيّب دعونا نرى الأمر الثّاني: والّذي هو مهمّ جدّا، والّذي أصل الرّحلة به:

أصل الرّحلة وأنت في مجيئك ببدنك لكن السّيّد في الموقف هو "قلبك".

كما أنّ بدنك يحتاج إلى طعام وشراب يُقيمه فإنّ القلب أحوج إلى طعام وشراب يُقيمه.

كما أنّ للبدن روحًا فإنّ للقلب روحًا هي "التّقوى".

ولذَا فإنّه في سورة الأعراف الآية (٢٦) لمّا منّ الله -عزّ وجلّ- على خلقه، لمّا نادى على بني آدم في سورة الأعراف بعد قصّة آدم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لمّا أنزلهم إلى الأرض منّ عليهم بأن ألبسهم ﴿لِبَاسًا﴾ ﴿وَرِيشًا﴾ هذا لمن؟ هذا لبدنك، ثمّ قال لنا: لا تنسوا فهناك شيء ثانٍ يحتاج كذلك إلى أن يلبس: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

مثلما تكسي بدنك ثيابًا اكسُ قلبك تقوى:

هكذا نكون فهمنا: بأنّ القلب عنده زاد وعنده أيضًا لباس بالضّبط مثل البدن، فإذا كنت تظنّ بأنّ بدنك يحتاج أن تُستر عورته ويُجمّل فالقلب أولى منه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وإذا كنت تظنّ بأنّ البدن لا يقدر أن يعيش إلّا بالطّعام والشّراب فلابدّ أن تعرف بأنّ القلب أولى منه، فماذا يحصل له؟ أن يتزوّد، طيّب سيتزوّد بماذا؟ **بالتّقوى**.

التّزوّد بالتّقوى يكون قبل الحجّ و أثناءه:

فإذًا دعونا نعرف كيف أنّ **"زاد التّقوى"** يأتي به الحجّاج وكذلك فإنّهم من الحجّ نفسه يتزوّدون منه، يعني: النّاس يأتون من ديارهم متزوّدين **بالتّقوى** ثمّ بعد ذلك يجدونها موجودة في الحجّ أكثر تنمو

(١) الأعراف: ٢٦.

وتنمو، فيتزوّدوا من الحجّ أيضًا **بالتّقوى** فإذَا ما رجعوا إلى ديارهم فإنّ **التّقوى** تكون معهم زائدة عن **التّقوى** الّتي جاؤوا بها.

حسنا سنتوقّف عند هذا، فسيكون هذا مقصدنا؛ وهذا المقصد -إن شاء الله- سنجده في مطلع سورة الحجّ لأنّه في مطلعها يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾.

فانظري كيف أنّ أوّل كلمة في سورة الحجّ بعد نداء الخلق أنّه: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾.

لا أريد أن أكثر من الوعود ولكن **"التّقوى"** وحدها تحتاج إلى درس -إن شاء الله- سيكون أوّل درس تالٍ عن معنى كلمة **"التّقوى"**، فنحن نريد أن نعجّل حتّى نصل إلى معرفة ماذا سنفعل اليوم؟

فإذًا ماذا استفدنا من الآية (١٩٧) في سورة البقرة؟

الفائدة الأولى: أنّ الحجّ أشهر معلومات.

الفائدة الثّانية: والّذي سيفرض فيه الحجّ ماذا يفعل؟ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

الفائدة الثّالثة: أنّ أيّ عمل تعمله بقلبك أو ببدنك أو بلسانك ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ تتصدّقين، تنفقين، تنوين الخير، كلّ هذا ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وسيشكرك عليه.

الفائدة الرّابعة: المطلوب منك أن تتزوّدي ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ﴾ الحقيقي هو: ﴿التَّقْوَىٰ﴾ فإنّ البدن يبقى يعيش أيّامًا بدون أن يأكل لكنّ القلب

إذا لم تزوّده مات! ولابدّ أن نعرف بأنّه هناك قلب ميّت! وهناك قلب قاسٍ! وهناك قلب حيّ! وهناك قلب ضعيف الحياة!

بالضّبط مثل: حين تقولين: (هذه مريضة! وهذه تعبانة! هؤلاء ماتوا!) بالضّبط، بالضّبط، ومثلما تكسي بدنك ثيابًا اكسُ قلبك **تقوى**!

فإذًا انتهينا من هذا -الحمد لله- وبعد ذلك سنتناقش في **"التّقوى"** الّتي هي قضيّة القضايا، فهي الّتي نريد أن نرجع بها من الحجّ -إن شاء الله-.

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٨)

نصل الآن عند الآية (١٩٨) سنبدأ من عند ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ ماذا؟ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المقصود به: مزدلفة، يعني: أمس ما هي الوظيفة الّتي كان المفروض القيام بها؟ ذكر الله.

ربّنا يغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا وإسرافنا في أمرنا، لكن المهمّ هذا هو الّذي كان مطلوبًا!

الفائدة الأولى: من نعم الله أن هدانا للإيمان وامتنّ علينا بهذه الشّريعة العظيمة:

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ يعني: الآن من الأشياء الّتي سنتأمّل فيها:

أ_ أنّ الله -عزّوجلّ- هدانا للإسلام.

ب_ أنّ الله -عزّوجلّ- امتنّ علينا بهذه الشّريعة العظيمة.

من لطائف التّدبّر

وهذا تفكير يحتاج إلى معرفة محاسن هذه الشّريعة،

فحين تجدين أمرًا في كتاب الله فإنّه لابدّ أن تأخذي كلّ الأسباب للوصول إليه.

فحين يقول لنا ربّنا: فعل أمر ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لابدّ ماذا نفعل؟

نبحث عن مسألة "الهداية" وكم منّ الله علينا أن جعلنا قومًا مهتدين، يعرفون من أين أتوا؟ وإلى أين هم ذاهبون؟ وماذا يجب عليهم أن يفعلوا؟

الفائدة الثّانية: من نعم الله أن عرّفنا إلى أين نحن ذاهبون وما الّذي يجب علينا أن نفعله؟

وأنا أسألكم الآن، حين أتيتم للحجّ فإنّ أكثر سؤال كان يشوّش عليكم -خاصّة النّاس الّذين كانوا أوّل مرّة يأتون-: (أين نحن ذاهبون؟) والسّؤال الثّاني: (ماذا سنفعل؟) لأجل هذا الحج يشبه الحياة.

فالإنسان حين يكبر ويعرف نفسه فإنّ أكثر أمرين يصعبان عليه: (أنا أقضّي الأيّام واللّيالي! أين أنا ذاهب؟ وبعد أن أعرف إلى أين أنا ذاهب! ماذا أفعل في هذه الأيّام؟!)

هل رأيتم كيف كان هذا الشّيء ملحًّا في أنفسنا؟! وكان هذا السّؤال يأتينا بين الفينة والأخرى ونحن نقول لكم: (اصبروا! اصبروا! سنقول لكم، اصبروا!) ولكن لا يوجد صبر! لماذا؟ لأنّ هذا السّؤال ملحّ جدّا، والنّفس لا تهدأ إلّا حين تعرف: من أين أتت؟ وإلى أين هي ذاهبة؟ وما الّذي يجب أن تفعله؟

والمشكلة أنّ الإنسان لو عاش أيّامه ولياليه فلا يهمّه هو من أين أتى؟ ولا إلى أين هو ذاهب؟ ولا ما الّذي يجب عليه أن يفعله؟ معناها: أنّ هذا من الغافلين الّذي لا يفهم هو في النّهاية إلى أين سيذهب! وهذا غالبًا ما يكون: اشتغالًا بالدّنيا والتفاتًا لها!

وحين يقرأ كتاب الله ويعلم أنّ الدّنيا ما هي إلّا ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1] يعني: مخدوع من يقف عندها ويجعل همّه فيها، سيعيشها أحسن حياة لو عرف إلى أين هو ذاهب؟ سيستقرّ وجدانه قبل أن يستقرّ بدنه، ويستقرّ قلبه حين يعرف: أين أنا ذاهب؟ وما الّذي يجب عليّ أن أفعله؟

نعمة الله أن هداكم للإيمان هي أعظم من أن هداكم للوصول إلى المخيّم بعد الضّياع:

ولذلك حين يأتينا -إن شاء الله- في سورة الحجّ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾[2] يجادل في الله بمعنى: يبقى يُجادلك: (أين أنت موجود؟ إلى أين ستذهب؟ وماذا يجب عليك أن تفعل؟) فهذا هو التّيه! وهذا المعنى واضح في الحجّ، كيف يكون حالك لو كنت لا تعرفين إلى أين ستذهبين؟!

مثل: الموقف الّذي صار أمس وأنت في الفجر ذاهبة من مزدلفة إلى مِنَى؛ النّاس متّجهون إلى اتّجاه وهناك اتّجاه يؤدّي إلى قطار عرفات، وهناك جماعة لم يفهموا فبقيت الشّرطة تقول لهم: (هذا لن يؤدّي إلى عرفات!) يعني: هذا أكيد لن يؤدّيكم إلى مكانكم! ولا أحد في تلك السّاعة المفروض يذهب إلى عرفة مرة أخرى وإنّما المفروض يذهبون إلى مِنَى، لكن لماذا مصرّين يذهبون إلى أيّ جهة تبدو لهم؟! هو الضّياع، فلو تركوهم لكان زاد الضّياع ضياعًا!

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الحج: ٨.

وهذا هو نفسه ممكن يحصل لك وأنت راجعة إلى المخيّم! وممكن يحصل لك وأنت ذاهبة لرمي الجمرات! ما دمت لا تعرفين أين ستذهبين؟! ولا تعرفين الطّريق الّذي تصلين به، ولهذا فإنّه يحصل الضّياع.

نعمة الله أن هداكم للإيمان تعني أنّك عرفت لماذا أنت موجود:

لأجل هذا لابدّ أن نعرف بأنّ الله منّ علينا بمعرفة:

- لماذا نحن موجودون؟
- من أين المبدأ؟
- وإلى أين المصير؟
- وماذا يجب عليّ أن أفعل؟

نعمة عظيمة أن تعرف ماذا يجب عليك أن تفعل؟ ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ يعني: في الحجّ النّاس يفهمون ما معنى الضّياع؟ وكم هو خطير؟ وكيف أنّ هذا الازدحام يجعلك في أيّ لحظة لا تنتبهين إلى اللّوحة الّتي أمامك وأنت ذاهبة فعلى طول تضيعين!

ولذلك من نعمة الله أن هداكم للإيمان الّذي هو أعظم من أن هداكم لأن تصلوا إلى المخيّم معناه: أنّك عرفت لماذا أنت موجود؟

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآية (١٩٩)

الفائدة الأولى: الانشغال اليوم يكون بالاستغفاروالتّكبير:

فإذًا هكذا نحن -الحمد لله- خرجنا من عرفة وفي طريقنا إلى مزدلفة:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩)﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ من مزدلفة إلى مِنًى مرّة أخرى، فماذا سنفعل؟ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾.

لا تنسوا ماذا قال الله -عزّ وجلّ- في أوّل آية ناقشناها؟ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ يعني: تبتدئوه من عرفة لكن لم تنتهوا بعد! فلا يكون حجّا مبرورا إلّا إذا وصلنا إلى الوداع.

قد تحصل أخطاء ويلتفت الإنسان عن رحلة قلبه إلى الله، فهل ييأس من روح الله؟ لا! فإذًا ماذا يقول الله -عزّ وجلّ-؟ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ لكن لا تستغفر الله باللّسان والقلب ليس حاضرًا! استغفر واستغفر قدر ما تستطيع إلى أن يُواطئ لسانك قلبك!

الله مطّلع على ما في القلوب فانتبه أن ينظر الله إلى قلبك ويجده مُلتفتا إلى غيره

مع الله لا يوجد غشّ أو كذب فالله مطّلع على ما في القلب، انظروا، كيف أنّه في حكم النّاس لا يجوز أن أُكلّمك وعيناك أنت تنظر إلى غيري!

ولا يجوز تكلّمي الله: (أستغفر الله! أستغفر الله! أستغفر الله!) والله ينظر إلى قلبك وهو مُلتفت إلى غيره! لا يجوز! فتمامًا مثلما أكلّمك وتكلّميني أو تناديني وتكلّميني وعيناك تطلاّن على غيري!

الفائدة الثّانية: أنت الآن في مرحلة تأديب لنفسك وتزكية لها فاجمع قلبك بقدر ما تستطيع و أنت تكبّر وتستغفر الله:

استغفر واستغفر إلى أن يمُنَّ الله عليك فيُواطئ لسانك قلبك!

هذا الّذي يستغفر بلسانه وقلبه مشغول وليس فيه جهاد ولم يقدر على أن يأتي بحضور قلبه! فالقلب ليس أداة تفتحينها وتقفلينها فيستوي الحال! وإنّما القلب يحتاج إلى جهاد، وأوّل الجهاد: أن نُكثر التّفكير فيما نحن فيه، في التّقصير، في الخسارة الّتي سنخسرها، أنّه أنا لأجل كلمة أُخرجها من لساني لم أقدر على مسكها، أو لأجل تعليق ليس له داعٍ أقوله فأخسر الحجّ المبرور!

فحين أفكّر في أنّ الكلمة خرجت هكذا أو خرج التّعليق وارتحنا! قبل كان سيحجزك عن الخطأ، لكن ماذا بعد؟ هذا سيسبّب لك الاستغفار الصّادق، فإذا لم تستطع أن تأتي بالاستغفار الصّادق؟ ابدئي استغفري! استغفري! استغفري! إلى أن يمُنَّ الله عليك فيُواطئ لسانك قلبك!

ففي كلّ الحالات استغفري! لابدّ أن يستغفر لسانك لكن لا تستغفري بلسانك وأنت لست مهتمّة بحضور قلبك! حاولي وحاولي إلى أن تأتي به.

مُرادك رضا الله لابدّ أن تجمع قلبك على هذا المعنى هنا وفي الحياة كلّها:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[1]

يعني: هذا محطّ نظر الرّبّ، الله ينظر إلى قلبك، لابدّ أن يرى في قلبك هذه المسألة الواحدة فقط طوال الحياة وفي الحجّ خاصّة: (مُرادي رضاك! مُرادي رضاك! أنا مشغولة برضاك! أنا جئت هنا لأجل أن ترضى عنّي! هذا هو الّذي يشغلني أن ترضى عنّي!) وإذَا رضي يأتيك خيري الدّنيا والآخرة، فلابدّ أن تجمعي قلبك على هذا المعنى هنا وفي الحياة كلّها: (مُرادي رضاك! مُرادي رضاك!)

ولذَا فإنّه لكي يسهل على الإنسان الإيمان بالقضاء والقدر، مثلًا: يبدأ الإنسان يقول لنفسه: (الّذي يُرضيك يا ربّ العالمين هو الّذي يُرضيني، رضّني يا ربّ! رضّني لكي يصبح الّذي يُرضيك يُرضيني)

فمثلًا: في مواقف القضاء والقدر، لأنّ الإنسان في مواقف القضاء والقدر يفكّر في نفسه ثمّ بعد ذلك يراجع نفسه: (طيّب أنا هنا موجود فقط للاختبار) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٧٩).

عَمَلًا﴾[1] فأنت جالس في قاعة اختبار وجاء القضاء والقدر كأنّه سؤال من أسئلة الاختبار، كيف ستجيب عليه؟ نفوسنا تريد هواها! لكن نراجع أنفسنا ونقول: (سنكتب في ورقة الاختبار الخاصّ بالقضاء والقدر: (الّذي يُرضيك يُرضيني، رضّني عنك! رضّني! رضّني! حتّى يكون الّذي يُرضيك يُرضيني) والله -عزّ وجلّ- يُرضيك.

هل هذا يمنع أن أطلب ربّنا وأسأله ما أريد؟ بالطّبع ادعُ الله -عزّ وجلّ- ما شئت والمهمّ ارضَ عن الله! ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2]

لا يوجد يأس من روح الله مع كلّ ما يمكن أن يحصل من تقصير فيما مضى:

أليست النّفس تُنادى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[3] فإذًا ادخلي جنّتي لأنّك كنت راضية وسأُرضيك.

والحياة كلّها ما هي إلّا كغمضة عين! فمهما كانت مطالبنا فإنّنا سنتقدّم قليلًا ثمّ ننسى حتّى هذه المطالب! وسيكون الأهمّ ما سنستقبل على ماذا سنودّع ونترك، لا بأس وأنت سيأتيك من الغد وقتا فاضلًا، للدّعاء ادعي بخيري الدّنيا والآخرة، لكن أهمّ شيء يأتيك بالسّعادة

---

(١) [الملك: ٢]

(٢) [البينة: ٨]

(٣) [الفجر: ٢٧-٣٠]

ويُبعد عنك الشّقاء: قلب راضٍ عن الله! لأجل هذا فإنّها هي أعظم المطالب: قلب راضٍ عن الله!

الشّاهد: لا يوجد يأس من روح الله مع كلّ ما يمكن أن يحصل من تقصير فيما مضى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فإذَا ما أكملتم الإفاضة وجئتم إلى هنا وأكملتم الرّجم فلمّا وصلتم إلى هنا ماذا ستفعلون؟ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ فإذًا اليوم المفروض يكون الانشغال بأمرين:

- **بالتّكبير.**
- **والاستغفار.**

وسنكرّر على أنفسنا: أنفسنا مَلولة! وأنت الآن في مرحلة تأديب لنفسك وتزكية لها، شيطانك وكذلك شيطان الجماعة الّذين معك موجود، فبقدر ما تستطيعين لُمّي نفسك، واجمعي قلبك، وكبّري! كبّري! واستغفري ربّ العالمين!

مُدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة الآيات (٢٠٠_٢٠١)

الفائدة الأولى: الذّكر والدّعاء أعظم عبادة في الحجّ:

شعيرة التّكبير في مِنًى تضعف وتقوى على قدر الإيمان:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ ورميتم جماركم وأكملتم ماذا تفعلون؟ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ فمعنى ذلك: أنّنا مازلنا في مسألة الذّكر.

﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ لأنّهم كانوا في الزّمن الماضي حين يصلون في هذا الوقت، وانظروا كيف نجتمع نحن اليوم ونتكلّم، ونتكلّم في الدّنيا! وهم كانوا يجتمعون ويشعرون! فيأتون بأشعارهم ويتنافسون ويذكرون أمجاد آبائهم! فقال لهم الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ كما كنتم سابقًا تفعلون هذا في ذكر آبائكم! ولذلك فقد ورد في الآثار أنّ مِنًى كانت تضجّ بالتّكبير، كلّ النّاس ماذا يفعلون؟ يكبّرون، بينما نحن الآن العدد كبير جدّا لكن هذه الشّعيرة ضعيفة جدّا! ضعيفة على قدر ضعف الإيمان!

فهم حين يصلون إلى أن يكبّروا ويُلبّوا كما ينبغي فإنّه هكذا ستأتي العزّة والنّصر للإسلام ولأهله، لكن هذه الصّورة الّتي ترونها قليلًا، قليلًا وعلى استحياء فإنّما هي من ضعف الإيمان، فضعف الإيمان أتى بضعف ظهور هذه الشّعيرة! والعزّة لله ولرسوله وللمؤمنين لمّا هم يعتزّون بدينهم.

اغتنم الفراغ والرّاحة في ذكر الله:

فإذًا ماذا سنفعل الآن؟ أهمّ شيء نفعله هنا هو: أن نذكر ربّنا، لأجل هذا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»[1]

فإذًا الجزء الأوّل نحن مطمئنّون عليه، نريد الآن الجزء الثّاني، لأنّه لابدّ أن تفهموا ما هو مقصود النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الجزء الأوّل:

فمقصد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه لا يوجد هناك رحلة وتعب لتذهبوا وتأتوا بالأكل، ابق مُرتاحًا وها هو الطّعام سيأتيك إلى حد عندك فاغتنم! اغتنم راحتك في أن تبقى لذكر الله، أيّام ذكر وشكر فلا يحتاجون أن يرتحلوا وإنّما في مكانهم.

فإذًا لمّا جاءت الرّاحة يأتي ماذا؟ يأتي الفراغ لذكر الله، فأيّام أكل وشرب بمعنى: توفّره، فأنت في فراغ وبقي عليك الذّكر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣).

والجماعة الآن ربّات بيوت هنّ من يطبخن ويؤكّلن النّاس فالحمد لله كلّ شيء مستقرّ والنّاس يأتونك بكلّ شيء إلى حدّ عندك، بقي عليك أن تذكر الله.

الفائدة الثّانية: في أوقات الدّعاء لا مانع من طلب الدّنيا لكن لا تكن هي أكبر همّنا:

الأدب مع ربّ العالمين في أوقات الدّعاء ألّا يكون دعائك فقط للدّنيا:

ونأتي الآن لشيء مهمّ جدّا وهو انقسام النّاس إلى قسمين: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يعني: هذا مشغول ماذا يريد؟ يريد فقط الدّنيا هكذا باختصار!

والثّاني؟ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فإذًا الرّسالة واضحة: فهناك من يذكر الله وقد أتى للحجّ وهمّه فقط الدّنيا! وهذا حال الأوّل: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يعني: ليس له نصيب في الآخرة! فكلامه فقط الدّنيا! ويريد الدّنيا! ويطلب الدّنيا من ربّ العالمين!

والثّاني: ﴿يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يعني: الآن الأدب مع ربّ العالمين أنّه حين تأتيك أوقات الدّعاء لا يكن دعاؤك فقط للدّنيا! لأنّ هذه الدّنيا في نهاية الأمر هي

زائلة! «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[1] ومع ذلك يُقال لك: لا بأس أنّك تطلبين الدّنيا لأنّ الثّاني ماذا قال الله في وصفه؟ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هذا الثّلث ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ وهذا الثّلث الثّاني ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فاثنان للآخرة وواحد للدّنيا، يعني: لا مانع من طلب الدّنيا لكن لا تكن هي أكبر همّنا!

الذّكر والدّعاء أعظم عبادة في الحجّ لذلك فإنّ المرأة حائض أو ليست بحائض فإنّها سواء:

- في الجمرة الصّغرى وقت للدّعاء عظيم مستجاب، كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يدعوا فيه بمقدار سورة البقرة.
- ثمّ بعد ذلك ستأتيك أيضًا الوسطى وتدعي فيها مثلها، هذا سيكون غدا ١١.
- و١٢ مثله.
- و١٣ مثله.

لأجل ذلك فإنّ الحجّ أعظم عبادة فيه: الذّكر والدّعاء، هذه أعظم عبادة ولذلك فإنّ المرأة حائض أو ليست بحائض فإنّها سواء لأنّه باقي ماذا؟ الدّعاء وذكر الله.

-وهذا من رحمة الله بنا والحمد لله ربّ العالمين-

---

(١) صححه الألباني.